المبحث الثالث

الاستبدال

أولاً : الاستبدال :

عرف (هاليداي ورقية حسن) الاستبدال بأنَّه «إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص»[1] .

ويقول (محمد خطابي) عن الاستبدال : إنَّه «وسيلة أساسية تُعتمد في اتساق النص ، يستخلص من كونه (عملية داخل النص) أنَّه نصي على أن معظم حالات الاستبدال النصي هي قبلية»[2] .

إسهام الاستبدال في تماسك النص :

يُعدُّ الاستبدال من العلاقات التي تنشأ على المستوى النحوي والمعجمي[3]؛ فوجوده في نص ما يسهم في تماسك ذلكم النص من خلال العلاقات الدلالية أو المعجمية أوكليهما التي يحررها في النص لإحداث التماسك .

---

(١) (Cohesion in English : 88) نقلاً عن : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق الخطابة النبوية نموذجًا : ١٩ ، هناك بعض الترجمات للاستبدال بأنه (تعويض) ، يُنظَر : لسانيات النص : محمد خطابي : ١٩ ، ونحو النص : ١٢٣ . وقد عرفته الدكتورة عزة شبل أنه « إحلال كلمة مكان كلمة أخرى» علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٣ ، وفيه قصور عن مراد هاليداي ورقية حسن : إذ قد قسما الاستبدال إلى الاسمي والفعلي والجملي .

(٢) لسانيات النص : ١٩ .

(٣) يُنظَر : (Cohesion in English : 88 - 89) نقلاً عن : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٣ .

لا تقوم العلاقة الاستبدالية على التطابق وإنما على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه استبعاد الألفاظ المبدلة دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق التي تقوم بها عناصر الاستبدال ، ومن تلك العلاقة بين المبدل والمستبدل تستمد النصوص قيمتها الاتساقية[1] .

علاقة الاستبدال بالإحالة والحذف والبدل النحوي

إنَّ علاقة الاستبدال بالإحالة تتكيف في أن كلا منهما يحدث عندما يقع في النص تعويض ما ، فالاستبدال الذي هو عملية تتم بكاملها داخل النص يتفق مع الإحالة في إحداث الربط النحوي (السبك) التي قد تحدث خارج حدود النص (الإحالة الخارجية)[2] .

كما أن هناك علاقة بين الاستبدال وعنصر الحذف ؛ فالاستبدال متضمن للحذف « والحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الاستبدال حيث يكون الاستبدال بالصفر »[3] .

أما علاقة الاستبدال في الدراسات النصية بالبدل في النحو العربي فيمكن تمييزها من جهتين : الأولى : أنَّه لا علاقة للاستبدال من الناحية النحوية والتركيبية به ؛ فالاستبدال إحلال عنصر لغوي مكان عنصر لغوي آخر غير تابع له أما البدل فإنه من التوابع في النحو العربي والجهة الأخرى أنَّه يقوم كل منهما بتأدية السبك[4] .

وفي البدل قرينة معنوية هي التبعية وقرينة أخرى لفظية هي المطابقة ، ويكون تحتها مطابقة في العدد والنوع والعلامة الإعرابية ، ولعلها الأهم من بين

---

(١) يُنظَر : لسانيات النص : ٢١ .

(٢) يُنظَر : لسانيات النص : ١٩ .

(٣) علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٣ .

(٤) يُنظَر : علم اللغة النصي : ١١٧/١ ، نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٢٥ . وسيكون تناول البدل بصورة أشمل في التكرار الجزئي فيما يأتي من مباحث .

هذه القرائن إذ «لا يمكن التسامح فيها مع بقاء التبعية على الإطلاق»[1] وكل هذه القرائن تسهم في تماسك النص .

أقسام الاستبدال ونماذج من شعر الصعاليك

قسم (هاليداي ورقية حسن) الاستبدال[2] إلى الاستبدال الاسمي والاستبدال الفعلي والاستبدال القولي ، وهو ما تم اعتماده في تطبيقاتها على نماذج من شعر الصعاليك :

١- الاستبدال الاسمي :

يستخدم فيه عناصر لغوية اسمية مثل لفظة : آخر[3]. ومثاله من أشعار الصعاليك ما استعمله جحدر العكلي بقوله[4] : [الطويل]

إذا الأَمْرُ وَلَّى فَـاتَّعِظْ مِـن طِلابِـه بِعَقْلِك واطْلُبْ سَـيْبَ آخَـرَ مُقْبِـلِ

أي سيب أمر مقبل ، وقد أحدثت كلمة آخر استبدالا مع كلمة الأمر ، وهو استبدال اسمي مع اسم متقدم ويتضح الربط في إحلال كلمة بدل كلمة تخلصا من تكرار الكلمة نفسها .

---

(١) العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث،الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الإمام البخاري ، القاهرة ـ مصر ، ط/٢ ، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م : ٤٠٧ .

(٢) قسم هارتج الاستبدال الى ثلاثة أنماط هي : الاستبدال الأحادي البعد ، والاستبدال الثنائي البعد ، والاستبدال الممتزج ، يُنظَر : مدخل الى علم النص مشكلات بناء النص : ٧١ .

(٣) يُنظَر : نحو النص : ١٢٣ ، بينته الدكتورة عزة شبل «بأنه الكلمات (واحد ، نفس ، ذات) ، تحل محل الاسم أو العبارة الاسمية» ، علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٤ ، وعبارة (العبارة الاسمية) قد يكون تفسيرها الجملة الاسمية ، فيكون التعريف قد اشترك به (الاستبدال الجملي) .

(٤) شعراء أمويون : ١/١٨٠ ، السَّيْبُ العَطاءُ والعُرْفُ والنافِلةُ ، يُنظَر : لسان العرب : (سيب) ١/٤٧٧ ، تاج العروس : (سيب) ٣/٨٢ .

وجاء هذا النوع أيضًا في قول أبي النشناش النهشلي[1] : [الطويل]

إذا المَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَـوامًا ولَمْ يُـرِحْ ... سَوامًا ولَمْ يبسط له الوجـهَ صـاحِبُهْ

فَلَلمَوْتُ خَيْـرٌ للفَتَـى مِـن حياتِـهِ ... فَقِيْرًا ومِـن مَـوْلًى تَـدِبُّ عَقارِبُـهْ

قال ابن جني في مشكل هذين البيتين : « كان يجب أن يقول : فللموت خير له : فإن أعاد المظهر وأوقعه موقع مضمره أن يقول : خير للمرء فعدل عن المظهر والمضمر جميعًا بلفظ آخر فقال خير للفتى ، وسبب ذلك أن هذا المظهر المخالف للفظ المظهر قبله قد أشبه عندهم المضمر من حيث كان مخالفاً للفظ المظهر قبله خلاف المضمر له »[2] .

وحقيقة هذا أن الشاعر استبدل كلمة (الفتى) بكلمة (المرء) استبدالاً اسميًا .

ومثله أيضا يقول جحدر العكلي[3] [البسيط]

يَا صَاحِبَيَّ وَبَابُ السِّـجْنِ دُوْنَكُمَـا ... هَلْ تُؤْنِسَانِ بِصَـحْرَاءِ اللِّـوَى نَـارَا

لِوَى الدَّخُولِ إِلَى الجَرْعَـاءِ مَوْقِـدُهَا ... وَالنَّارُ تُبْدِي لِذِي الحَاجَـاتِ أَذْكَـارَا

لَوْ يُتْبِعُ الحَقُّ فِيْمَـا قَـدْ مَنِيـتُ بِـهِ ... أَوْ يُتْبِعُ العَـدْلُ مَـا عَمَّـرْتَ دَوَّارَا

---

(١) أشعار اللصوص وأخبارهم : ٤٩/١ ، والمعنى : إذا الرجل لم يكن ذا مال يسرح بعضه ويراح عليه بعضه ، على حسب ما يتفق ، ولم يكن له أقارب يتعطفون عليه ، ويرون من الفروض الواجبة الإحسان إليه ، فالموت خيرٌ له ، (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣١٨/١) ، قال اللِّحْيَانيّ : وقد يكون في معنَى ما لَه قَوْمٌ . يُنظَر : تاج العروس : (سرح) ٤٦٨/٦ .

(٢) التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة : ١١٥ .

(٣) شعراء أمويون : ١٧٤/١ . الكسر ، وفتح الواو ، والقصر ، وهو في الأصل منقطع الرملة ، يقال : وهو أيضا موضع بعينه قد أكثرت الشعراء من ذكره ، يُنظَر : معجم البلدان : ٢٣/٥ . ومُنِيتُ بِكَذَا وكذا : ابْتُلِيت به . لسان العرب : (منى) ٢٩٣/١٥ . دَوَّارُ : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، وآخره راء : سجن باليمامة ، يُنظَر : معجم البلدان : ٤٧٨/٢ .

إِذا تَحَرّكَ بَـابُ السِّـجْنِ قَـامَ لَـهُ قَـوْمٌ يَمُـدُّونَ أَعْنَاقًـا وَأَبْصَـارَا

استبدل الشاعر كلمة (دوار) في البيت الثالث بكلمة (السجن) في البيت الأول ، ثم عاد يستبدل بكلمة (دوار) الكلمة المبدلة مرة أخرى في البيت الرابع.

ومثله عند جحدر العكلي[1] : [البسيط]

يا ربُّ أبغـضُ بَيْـتٍ عنْـدَ خالقِـهِ بيْتٌ بكوفـانَ منـه أُشْـعِلتْ سـقَرُ

مثْوى تَجمَّـع فيـه النَّـاس كُلُّهـم شتَّى الأُمـور فـلا وَردٌ ولا صَـدرُ

دارٌ عليها عفـاءُ الـدهرِ موحِشـةٌ من كُلِّ إِنسٍ وفيها البَـدْوُ والحضَـرُ

في هذه القطعة استبدل الشاعر استبدالا اسميًا عن المكان الذي سجن فيه ، ولم يصرح بواحد منها بلفظ (السجن) الاسم الأول (بيت) ، ووَسَمهُ بأنَّه أبغض بيت ، والاسم الثاني (مثوى) وهو المنزل[2]، والاسم الثالث (دار) ، وقد استبدل البيت بمثوى ثم استبدل المثوى بالدار .

٢- الاستبدال الفعلي :

يعبر عنه الفعل البديل أو الكنائي : حيث يأتي بمعنى الفعل السابق له ، فيحافظ على استمرار محتوى الفعل السابق[3] .

هذا ما قرره كل من (هاليداي ورقية حسن) فيما جاء في اللغة الإنجليزية أما اللغة العربية فيأتي مثل هذا الاستبدال عندما يكون الفعل الثاني مرادفًا للأول مثل قول السمهري العكلي[4] : [الطويل]

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٧٣ ، كوفان هي الكوفة ، يُنظَر : معجم البلدان : ٤/٤٩٠ .

(٢) لسان العرب : (ثوا) ١٤/١٢٥ « ثَوَى بالمكان نزل فيه وبه سمي المنزل مَثْوىً والمَثْوى الموضع الذي يُقام به »

(٣) يُنظَر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٤ .

(٤) شعراء أمويون : ١/١٤٣ .

والعَفاءُ : الدُّروسُ ، قال : على آثار مَن ذَهَبَ العَفاءُ تقول : عَفَتِ الدِّيار تَعفُو عُفُوّاً ، والرِّيحُ تَعفُو الدارَ عَفاءً وعُفُوّاً وتَعَفَّتِ الدارُ والأثرُ تَعَفِّيَاً ، العين : (عفو) ٣/١٩٢ .

رَأَيْتَ غُرَابَـا سَـاقِطًا فَـوْقَ بَانَـةٍ يُنَشْـنِشُ أَعْلَـى رِيشِـهِ وَيُطَـايِرُه

يطايره وينشنش : «قال ابن الأعرابي : النَّشُّ النَّصْفُ من كُلِّ شيء وتَنَشْنَشَ الشجر أَخَذَ من لِحَائِهِ ، ونَشْنَشَ السَّلَبَ أَخَذَهُ والمِنَشَّة بالكسر ما يُنَشُّ به الذبابَ ويُطْرَد»[1] . ومنه قول جعفر بن عُلبة الحارثي[2] : [الطويل]

أَشَارَتْ لَنَا بِـالكَفِّ وَهِـي حَزِينَـةٌ تُوَدِّعُنَـا إِذْ لَمْ يُـودِّعْ سَـلاَمُهَا

والإشارة باليد توديع ، وقد استبدل الشاعر الفعل (تودعنا) بالفعل (أشارت لنا بالكف) ، وقد يأتي الاستبدال في الفعل المفسر للفعل كما في إبداله (لم أنكل) بالفعل (كررت) ، كما قال المرّار الفقعسي[3] : [الطويل]

لَقَـدْ عَلِمَـتْ أُولَى المُغِيـرَةِ أَنَّنِـي كَرَرْتُ فَلَمْ أَنْكُلْ عَنِ الضَّرْبِ مِسْمَعَا

فكررت يفسرها لم أنكل ، ومن هذا الاستبدال أيضًا قول السمهري العكلي[4] : [الطويل]

إِذَن لَبَكَتْ لَيْلَـى عَلَـيَّ وَأَعْوَلَـتْ وَمَا نَالَتِ الثَّوْبَ الَّـذِي أَنَـا لاَبِـسُ

فأعولت استبدلت بكلمة (بكت) ، ومعنى أعولت بكت وكررت البكاء في اللغة أعول الرجل يعول إعوالاً إذا ردد البكاء[5] .

---

(١) تاج العروس : (نشش) ١٧/٤١٥-٤١٦ .

(٢) ديوان اللصوص : ١/١٩٥ .

(٣) يُنظَر : شعراء أمويون : ٢/٤٦٤ . وكَرَّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ ؛ وَرَجُلٌ كَرَّار ومِكَرّ ، وكَذَلِكَ الْفَرَسُ . وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره : أَعاده مَرَّةً بعد أُخرى . لسان العرب : (كرر) ٥/١٣٥. نَكَلَ الرَّجُلُ عن الأَمر يَنْكُلُ نُكُولاً إِذا جَبُنَ عنه ، لسان العرب : (نكل) ١١/٦٧٧ .

(٤) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١/٤٠ ، شعراء أمويون : ١/١٤٤ .

(٥) يُنظَر : لسان العرب : (عول) ١١/٢٨٣ ، تاج العروس : (عول) ٣٠/٧٣ .

٣- الاستبدال القولي[١] :

يستبدل فيه بالقول السابق كلمة واحدة تعوض عنه ، ويكون بألفاظ منها (هنا ، ذلك) . يظهر هذا جليًا في قول مالك بن الريب[٢] : [المتقارب]

تُسَـــائِلُ شَـــهْلَةُ فُقَّالَهَـــا ... وَتَسْـــأَلُ عَـــنْ مَالِـــكٍ مَـــا فَعَـــلْ

ثَـــوَى مَالِـــكٌ بِـــبِلَادِ العَـــدُوِّ ... تَسْـــفِي عَلَيْـــهِ رِيَـــاحُ الشَّـــمَلْ

لِـــذَلِكَ شَـــهْلَةُ جَهْزَتِـــنِي ... وَقَـــدْ حَـــالَ دُوْنَ الإِيَـــابِ الأَجَـــلْ

استبدل الشاعر بالقول الذي تضمن سرد القصة لفظ (ذلك) ، وهنا يظهر تعانق الاستبدال بالإحالة فالأداة فيهما واحدة ، فالناظر إلى عنصر الإشارة فيها ينظر إلى الاحالة والناظر إلى عنصر التعويض ينظر إلى الاستبدال

ويكثر الاستبدال القولي في غير هذه الألفاظ فيتقدم الكلام بالفعل (قال) ومشتقاته ، ويأتي بعده مقول القول ليحل محلها استبدالا ، مثاله يظهر في قول تليد الضبي[٣] : [الطويل]

يقولـــون جاهِـــدْ يـــا تَليـــدُ بتَوبَـــةٍ ... وفي النَّفْسِ منِّـــي عَـــوْدَةٌ سَـــأَعُوْدُهَا

فقد استبدل القول بـ (يقولون) عبارة (جاهد يا تليد بتوبة) .

كما قد يكون من غير ألفاظ القول كما في قول القتال الكلابي[٤] : [الكامل]

من وسْط جَمْعِ بـــنِي قُـــرَيظٍ بعـــدما ... هَتَفَـــتْ ربيعـــةُ يـــا بـــنِي جـــوَّابِ

فالفعل بـ (هتف) استبدل جملة النداء (يا بني جواب) .

---

(١) عُبر عنه أيضًا بالاستبدال الجملي ، أو الاستبدال العباري ، يُنظَر : لسانيات النص: ٢١، وعلم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١١٥، وكان اختيار البحث للعنوان المذكور تجنبًا للخلط بين مصطلح الجملة والفعل في القسم الثاني .

(٢) شعراء أمويون : ١/٣٨ . وفي لسان العرب : (شمل) ١١/٣٦٦ «فإما أَن يَكُونَ عَلَى التَّخْفِيفِ الْقِيَاسِيِّ فِي الشَّمْأَل ، وَهُوَ حَذْفُ الْهَمْزَةِ وإِلقاء الْحَرَكَةِ عَلَى مَا قَبْلَهَا ، وإِما أَن يَكُونَ الْمَوْضوع هَكَذَا» .

(٣) ديوان اللصوص : ١/١٤١ .

(٤) ديوان القتال الكلابي : ٣٦ .

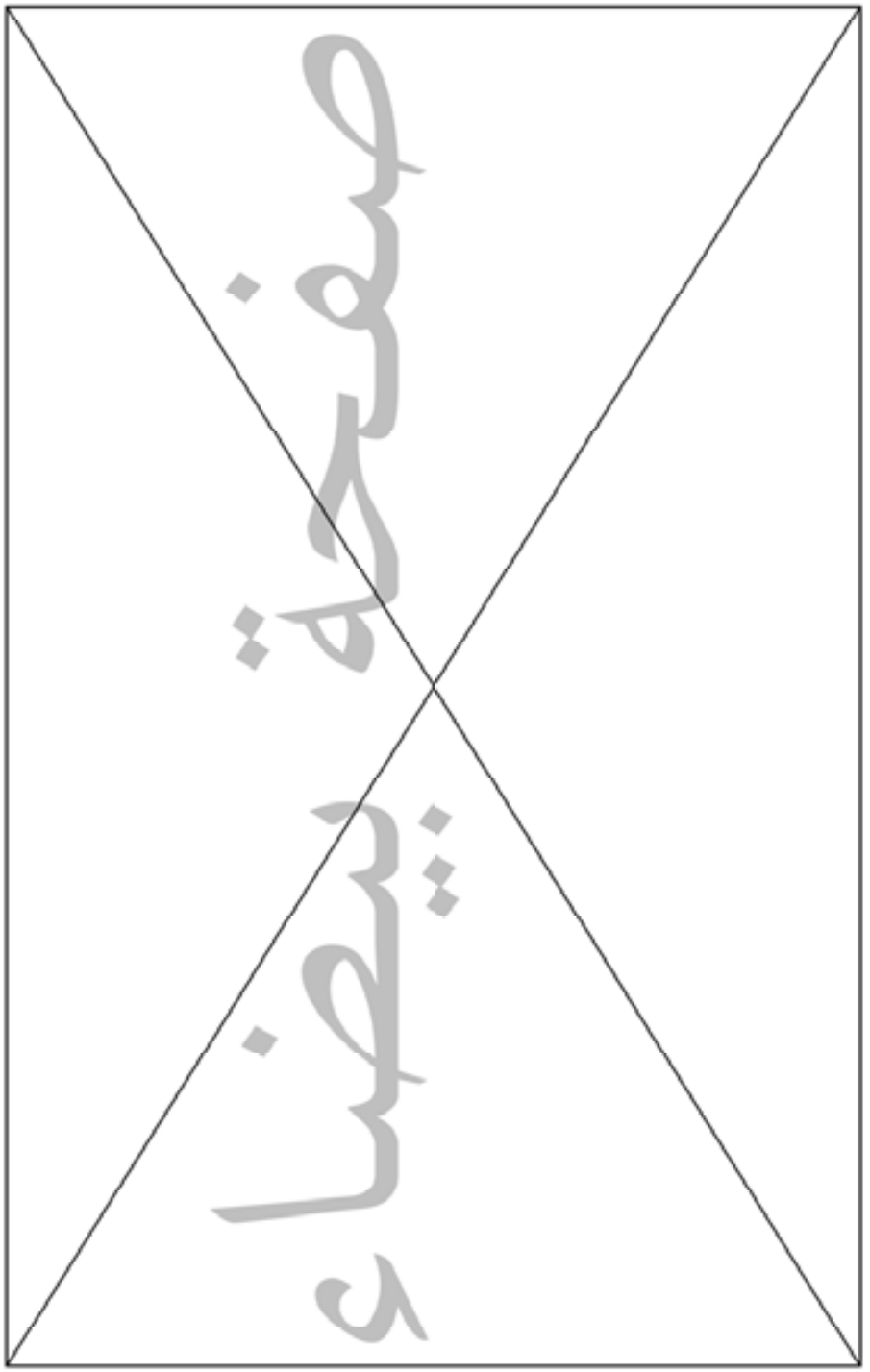
صفحة بيضاء